E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

وساطة المغرب في تحرير وتبادل الأسرى بين الجزائر وإسبانيا خلال النصف الثاني من القرن 18م

عمار سراح (*)
جامعة الجزائر 2
ammarserrah1@gmail.com
أ.د. فلة موساوي القشاعي
جامعة الجزائر 2
fellamoussaoui@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: **2018/10/10** تاريخ القبول: **2018/11/01** تاريخ النشر: **2018/12/30**

الملخص:

مثلت قضية الأسرى أحد أهم المحاور التي قامت عليها العلاقات المغاربية –الأوربية خلال الفترة من ق16 إلى بداية ق19، خاصة بين الجزائر وإسبانيا، ومع النصف الثاني من القرن 18، ظهرت بوادر لحل هذه المشكلة، وبذل المغرب في فترة حكم السلطان محمد بن عبد الله 1757-1790م جهودا معتبرة في ذلك، لذا سنتناول في هذه الدراسة أبرز إسهامات المغرب للوساطة بين الجزائر وإسبانيا خلال النصف الثاني من القرن 18م.

الكلمات الدالة:

الأسرى، الوساطة ، المغرب، الجزائر، اسبانيا،العلاقات،القرن18

Abstract :

The prisoners' case is considered as one of the most important centerlines that the Morocco- European relations stand for from the16 century until the beginning of 19 century specially between Algeria and Spain during the second half on the 18 century this problem was almost solved .at that time , during el sultan Mohammed ben Abdu Allah ' s govern between 1757_1790 Morocco played great role .therefore, in this study we are going to takle Morocco' s prominent contribution in the Algerian_ Spain ' s mediation about the case during the second half of the 18 century.

Key Word:

Prisoners-The mediation- Morocco - Algeria- Spain - relations- 18th century

(*) المؤلف المرسل: عمار سراح ammarserrah1@gmail.com

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

مثلت ظاهرة الأسرى أحد أهم المحاور التي سيرت العلاقات الأوروبية-المغاربية خلال العصر الحديث، هذه الظاهرة التي تحكمت فيها العديد من العوامل والظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية بين ضفتي البحر المتوسط، خاصة بين الجزائر وإسبانيا اللتين مثلتا قطبا الصراع الصليبي الإسلامي في الفترة الممتدة بين القرن 16 إلى القرن 19م، ومثّل النصف الثاني من القرن الثامن عشر كذلك فترة تغير على الساحة المتوسطية، خاصة في المغرب الذي شهد بروز قيادة سعت إلى نهج سياسة منفتحة تجاه جيرانه الأوربيين في المتوسط، وكذلك تجاه جميع الأمم القريبة والبعيدة. وهكذا فتحت قنوات التفاوض وتحركت الآلية الدبلوماسية لمعالجة المشاكل، وعلى رأسها مشكلة الأسر التي كانت طيلة العصر الحديث

وسنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على فكاك وتبادل الأسرى بين الجزائر وإسبانيا والمساهمات التي بذلها المغرب الأقصى للتوسط في ذلك.

1- ظروف الدول الثلاث خلال النصف الثاني من القرن 18م

1-1 المغرب

منذ تولي السلطان المغربي محمد بن عبد الله [1] العرش المغربي عام 1757م، وهو يعطي للسياسة والحوار الدبلوماسي الأولوية على الحروب في المشاكل الدولية، وطوّر أسطوله الحربي ليكون في خدمة السياسة الخارجية، ولكي يعطي الدليل على إخلاصه للحوار الدبلوماسي، بذل مبالغ ماليه هامة لتحرير الأسرى المسلمين، وعمل السلطان أيضا على فكاك من بقي من أسرى المسلمين في الدول الأوروبية، وبذل السلطان أموالا كثيرة أعطي بعضها كفداء وصرف البعض الآخر كصلات للمأسورين، وهو أمر سار عليه طيلة أيام حكمه. [2]

شكل افتداء الأسرى أحد الجوانب الأساسية في علاقة السلطان المغربي محمد بن عبد الله بالإيالات العثمانية في طرابلس وتونس والجزائر، فقد اعتمد في سياسته الخارجية على ثلاث مسائل: مسألة الجهاد وافتداء الأسرى وتطوير تجارته مع الدول الأوروبية، فكان سبب نشوء العلاقات كذلك بين السلطان محمد بن عبد الله ودولة إسبانيا وجود الأسارى المسلمين في بلادها، وقد عمل على افتدائهم من أي البلاد كانوا، وتقرر أمرها واشتهر، فاتفق أن وردت إليه عدة رسائل من أولئك الأسرى وفيهم من الطلبة وعلماء الدين يعلمونه بما هم فيه من الشدة والضيق.[3]

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

وبلغ عدد الأسرى الذين تم إطلاق سراحهم على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1200هـ حوالي ثمان وأربعين ألف (48 ألف) أسير. [4] وذكر الزياني عددهم بـ40 ألف ونيّف. [5]

1-2 إسبانيا

كانت إسبانيا في القرن الثامن عشر تعاني مشاكل وصعوبات في حوض البحر المتوسط ومياه المحيط الأطلسي، وذلك من طرف القراصنة الأوروبيين (السويديين والهولنديين، والإيطاليين والامريكيين) ، ومن طرف البحريات الإسلامية المغربية، خاصة الجزائرية منها، فتعرضت تجارتها البحرية إلى الكساد، وتعرضت مراكبها البحرية إلى مزيد من الاخطار، والتهديدات، خاصة من طرف البحرية الجزائرية، فلجأت إلى استعمال القوة في مواجهتها وتوالت العديد من الصراعات والتحرشات على السواحل الجزائرية أو المراكب البحرية، وفي عهد كارلوس الثالث (**Carlos III**) اشتد حرصه كثيرا على القضاء أو الحد على الأقل، من القرصنة البحرية التي عطلت مصالح إسبانيا التجارية، ووضعت أمامها عراقيل كثيرة سياسية، وعسكرية، واقتصادية في حوض البحر الأبيض المتوسط وفي المحيط الأطلسي، وعلى هذا الأساس صمم على ضرورة تحقيق السلم مع البلدان المغاربية، وعلى رأسها الجزائر، مهما كان الثمن، وأخذ يخطط لإعادة وهران والمرسى الكبير للجزائر مقابل الحصول منها على سلم، ووضع في اعتباره منذ البداية الحصول أولا على السلم مع الدولة العثمانية، ومع المغرب الأقصى كخطوة أولى لذلك. [6]

فشل المساعي الإسبانية للضغط على الجزائر لإرغامها عقد معاهدة مع إسبانيا وفق الشروط الإسبانية، مثل المحاولة التي قام بها حاكم وهران من طرف الإسبان لعقدها مع الباي مصطفى بوشلاغم [7] ففشل هذه المحاولة جعلها تفكر في حسم الموقف عسكريا بواسطة حملة بحرية إضافة لفشل مساعي الوساطة التي قام بها سلطان المغرب محمد بن عبد الله في إقناع داي الجزائر محمد عثمان باشا لعقد معاهدة مع إسبانيا، حيث قام سلطان المغرب بعدة محاولات منها إرسال كتاب إلى الداي محمد عثمان باشا يطلب منه عقد صلحا مع إسبانيا لكن داي الجزائر رفض، كما حاول سلطان المغرب الضغط على الجزائر بواسطة السلطان العثماني[8].

1-3 الجزائر

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

كانت الجزائر خلال النصف الثاني من القرن 18م تحت حكم أحد أقوى الدايات والذي امتد حكمه لفترة طويلة هو الداي "محمد عثمان باشا(1766-1791م) الذي استطاع بفضل شخصيته وعلاقاته وسيرته الحسنة وسط رعيته، أن يكسب الجزائر مهابة واحتراما لدى كل الدول الشقيقة، وحتى الأوروبية المسيحية، فكان يواجه المشاكل بكل حكمة، في صراعه مع القراصنة عامة، والإسبان بصفة خاصة، فاهتم بتحصين مدينة الجزائر، كما اهتم بتحصين وتقوية الأسطول البحري، فقد واجه الداي "محمد عثمان" غارات وحملات أوروبية كان الهدف منها تحطيم مدينة الجزائر [9]، فخلال النصف الثاني من القرن 18م، تزايدت الحملات الإسبانية خصوصا على مدينة الجزائر، الأمر الذي زاد في توتر العلاقات بين الطرفين [10]

2- صعوبات افتداء الأسرى بين الجزائر وإسبانيا.

ارتبطت صعوبات الفداء أساسا بطبيعة العلاقات الثنائية الجزائرية-الإسبانية التي غلب عليها طابع العداء منذ مطلع العصر الحديث، فلم يكن الإعداد لرحلة الفداء في البر الجزائري أمرا هينا في ظل حالة التوتر الغالبة على العلاقات الجزائرية الإسبانية. والأمر نفسه كذلك على الأراضي الإسبانية، وهو الأمر الذي جعل بعض المؤرخين -خاصة المغاربة منهم- يقولون بعدم اهتمام الجزائر ولا الدولة العثمانية بالأسرى الجزائريين في أوروبا عموما وإسبانيا على وجه الخصوص.

وإذا كان لإسبانيا طرق ومنافذ لتحرير أسراها في الجزائر خاصة بوجود القناصل الأوربيين هناك، فقد كان الواجب الأساسي للقناصل الاوربية هو الافتداء المباشر للأسرى أو التدخل لدى إدارة الداي، ويتم اعتماد وسطاء أوروبيين من الدبلوماسيين، غالبا ما يكونون من الفرنسيين أو من رجال الدين الإسبان المسموح لهم بالقيام بأعباء المستشفى التابع لبلادهم بمدينة الجزائر، وهو المؤسسة الوحيدة ذات الطابع الاجتماعي المهتمة بشؤون الأسرى الإسبان، وقد كان القنصل الفرنسي بالجزائر هو الحامي لهؤلاء القساوسة في عملية الفداء، وقد كانت هناك ثلاث مجموعات مسيحية متخصصة في عملية الافتداء وهي: جماعة الثالوث المقدس (Les Trinitaires) التي كانت تشرف على أهم عمليات الفداء بالجزائر، ومجموعة المرسدير (Marcedairs) وجماعة آباء الرحمة (الفرنسيسكان)[11]

على الجانب الآخر كان القليل فقط من الأرقاء المسلمين في إسبانيا قد خضعوا للفداء أو المبادلة، ذلك أنه لا وجود لمنظمة، أو هيئة إسلامية للفداء أو المبادلة، ولا وجود لقناصل من

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

شمال إفريقيا في أراضي إسبانيا، ولا توجد أيضا وسائل منظمة لتسهيل تحرير الأسرى أو مبادلتهم، هذا الأمر الذي يمكن أن نرجعه أساسا إلى انتشار الفكرة القائلة بتحريم الإقامة بين ظهراني النصارى "الكفار"، فقد ظل السفر والإقامة "المغاربية" والإسلامية عموما اتجاه أوروبا محكومة بالعلاقة التي ميزت "دار الإسلام" و"دار الحرب" [12]، ومن آن لآخر يطلق سراح رقيق مسلم مبادلة مع إطلاق سراح رقيق مسيحي، إما في سبتة وإما في ليفورنيا، حيث تتوصل العائلتان إلى اتفاق، إمّا بواسطة المساعي الحميدة لأحد القناصل، أو لأحد التجار اليهود، ولكن هذا لم يكن شائعا أو عاديا [13]

3- وساطة المغرب في افتداء الأسرى بين الجزائر وأسبانيا.

جدير بالذكر أن الوساطة التي كان يقوم بها المغرب بين الجزائر واسبانيا لافتداء الأسرى اختلفت مستوياتها والتي يمكن إيرادها على النحو التالي:

1. الوساطة قد تتم بطلب من أحد الطرفين سواء الجزائر أو إسبانيا، والملاحظ أنها كانت من جانب إسبانيا بشكل أكبر.

2. تتم بمبادرة شخصية من سلطان المغرب أو مبعوثيه وسفرائه في أوروبا بدافع تحرير الأسرى (فهم يعتبرونها من واجباتهم الدينية).

3. وقد تكون بتبادل هؤلاء الأسرى "كهدايا" لتحسين العلاقات الثنائية خاصة بين المغرب واسبانيا.

4. أن يكون الأمر بطلب من الأسرى أنفسهم وذلك عن طريق إرسال رسائل ونداءات الاستغاثة لسلطان المغرب من أجل فدائهم أو تحريرهم، خاصة بعد تحسن العلاقات بين الطرفين المغربي والاسباني، وكذا للشهرة الكبيرة التي نالها السلطان محمد بن عبد الله بسبب مبادراته لافتداء الأسرى.

1-3 قضية تبادل الأسرى بين المغرب وإسبانيا 1766-1767م

كانت أولى خطوات التقارب في سبيل إيجاد حل لمشكلة الأسرى من الجانبين الإسباني والمغربي بعد الرسالة التي وجهها بعض الأسرى المغاربة والمسلمين في إسبانيا إلى السلطان محمد بن عبد الله فيما ينالهم من التعسف والإهانة ومما يكلفون به من الأعمال الشاقة [14]

ولما وصلت هذه الرسالة كاتب في شأنهم الملك الإسباني كارلوس الثالث بقوله:

"إننا في ديننا لا يسعنا إهمال الأسارى وإبقائهم في قيد الأسر، ولا حاجة للتغافل عنهم، وفيما نظن أن في دينكم لا يسوغ لكم ترك أساراكم في الأسر مع الإمكان والاستطاعة ووجود

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

ما يفتدون به من أسارى المسلمين واتساع البضاعة، فما للتغافل من الجهتين وجه يعتبر، ولا أمر ينتظر" [15] وأوصاهم بهم خيرا مثلما يفعل هو مع الأسرى المسيحيين من حسن معاملتهم، مع الاعتناء بمرضاهم وإطلاق سراح الشيوخ منهم والنساء والأطفال بدون فدية.

وعلى إثر وصول مبعوث السلطان أطلق الملك الإسباني الأسرى المغاربة واحتفظ بأسرى الجزائر حتى يتم بهم فداء الأسرى الإسبان، وعامله السلطان بالمثل فأطلق سراح الأسرى الإسبان بالمغرب، وأشار لما ينبغي من عدم التفرقة بين أسارى المغرب وأسارى غيره من الدول الإسلامية.

وترأس السفير أحمد الغزّال [16] هذا الشأن سنة 1766م وفدا سفاريا ليتفقد أحوال من بقي منهم بالأسر ويمده بالمساعدة التي دأب على تقديمها لهم كل سنة. [17]

ويذكر السفير المغربي أحمد الغزّال [18] أنه كلم الوزير الإسباني في المطالب التي جاء من أجلها ومنها تحرير الأسارى الطاعنين في السن والمصابين بفقد بعض أعضائهم، ومن في معناهم من أي بلاد كانوا، ثم ما قد تجده السفارة من أسارى المغرب عند استعراض جميعهم واستيعاب أسمائهم وألقابهم، ثم إطلاق رجلين من الجزائر أحدهما طالب علم وهو الفقيه السيد مصطفى بن علي البابادغي، والآخر ذو مروءة. [19]

ونقل لنا الغزال أيضا في مواصلة حديثه عن الأسارى أنه صادف مجموعة من الأسرى تضم حوالي 300 أسير جلهم من الجزائر ووصف لنا حالهم بأنهم كانوا في عسر شديد، فكثير منهم كان مكبلا بالسلاسل، ورغم أنه لم يستطع تحريرهم، إلا أنه بشرهم بذلك ومنحهم صلة من سلطان المغرب، وتشفع لهم عند الملك الاسباني حتى يرفق بهم، واستطاع أن يحرر واحدا منهم فقط وهو رجل أعماه البارود. [20] وتم افتداء فتاة أيضا من ناحية تلمسان تشبثت بالسفير المغربي لتحريرها. [21] وما يمكن نلاحظه مما أورده السفير الغزّال في رحلته أن الأولوية في فداء الأسرى بالنسبة لمهمته كانت للأسرى المغاربة، ثم يأتي بعدهم بقية أسرى المسلمين، فعند وقوفه على حالة الأسرى الموجودين في مدينة قرطاجنة يقول:**"...فأحضروا فكان المسرحون من الشيوخ اثنين وستين نسمة، ومن أهل المغرب أربعين وجدت أسماؤهم مكتوبة على أنهم مغاربة، ثم ألحق بهم عند الاستعراض واحد وعشرون ثبتت مغربيتهم، والمنتسبون الذين لم تثبت نسبتهم أخروا للاستفسار."** [22]

رغم أن هذا لا ينفي اهتمامه بالأسرى المسلمين ومنهم الجزائريين على وجه الخصوص لأنهم كانوا الأكثر بينهم، كما لاحظنا أنه رغم هذه الوساطة التي بادر بها الغزال على هؤلاء

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

الأسرى إشفاقا على حالهم إلا أن الإسبان تمنعوا عند ذلك بالنظر للعلاقات المتأزمة بين الجانبين (الجزائر وإسبانيا)، وإنما تمسكوا بعدم تحريرهم للجزائريين بسبب وجود أسارى إسبان لدى الجزائر، والذين سوف يكونون بلا شك في صفقة المبادلة التي توسط فيها المغرب كذلك سنة 1768م.

2-3 **وساطة المغرب لتبادل الأسرى بين الجزائر وإسبانيا سنة 1768م.**

ثم ما لبث أن تغير الموقف في إسبانيا بسبب الظروف السياسية الخاصة في الوقت الراهن؛ أولا إقامة علاقات دبلوماسية مثمرة مع سلطان المغرب، بلورة معاهدة سلام 1767 التي تضمنت حرية الصيد، ويضمن حرية الملاحة والتجارة و إطلاق سراح الأسرى، وبهذه الطريقة، يتم سحب السفن المغربية ضد إسبانيا، كما تم الاتفاق على الوساطة المغربية بين إسبانيا والجزائر، التي تمت بتعاون مع سلطنة سيدي محمد بن عبد الله عند بتفويضه لسفيره الغزال مثل هذه المهمة، لدرجة تفسير أن عملية الجزائر اقترحها هذا السفير المغربي على المملكة الإسبانية [23]، وهو الأمر الذي أكدته رسالة السلطان محمد بن عبد الله إلى الملك الإسباني والتي جاء فيها: «**إلى عظيم إصبانية الراي كارلوس الثالث... والجواب عما ذكرت في كتابك في شأن الأسارى من الاصبنيول الذين بالجزائر وما أشرت عليه من امر القايد الذي كان بسبتة ها نحن أمرنا كاتب أوامرنا المطاعة بالله السي أحمد الغزّال يعلم بذلك وزيرك ويخبره بذلك وغيره...**» [24]

وسطت إسبانيا أحمد الغزال لافتداء أسراها بالجزائر[25]، حيث يذكر في رسائله المتعددة التي كان يبعث بها إلى الحكومة الإسبانية يخبرهم فيها عن تفاصيل الوساطة التي كان يقوم بها بأمر من السلطان محمد بن عبد الله وذلك بعد أن كان ها الأخير ربطته محادثات مع الملك الإسباني في هذا الشأن فيقول الغزّال في رسالته المؤرخة يوم 06 شوال 1181هـ /1767م: "**...نعلمك أن سلطاني نصره الله أعطاني أمره بالقدوم على الجزائر لأجل فكاك أساراكم لكثرة شفقته عليهم...ونحبك أن تعلم بذلك الداي وتسلم عليه وتخبره أن مولانا نصره الله مجتهد في فداء إخوانه من الجزائر غاية...عليك أن تسرع ببعث الأمر لمن يحمل أسارى المسلمين وأساراكم ولا تتركونا في انتظار مراكبكم بالجزائر**" ثم يضيف مبرزا سبب قبوله هذه المهمة: "**فإن ما وجهني سيري لهذا الغرض إلا لأنكم عند سيدي بمكانة ورفعة فلتعرف ذلك...**" [26]

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

وكان من خبر هذه السفارة أنه بعد رجوعه من سفارته بإسبانيا، كتب ملك الاسبان سنة 1182هـ/1768م، كتب إلى السلطان المغربي محمد بن عبد الله يقول فيه: إنه لم يبق ببلادي أحد من أسرى إيالتكم، ولم يبقى عندي إلا أسرى أهل الجزائر الذين عندهم أسرانا، وطلب منه أن يتوسط له عند صاحب الجزائر في المفاداة بينهما، وكان أسرى الاسبان يزيدون على أسرى الجزائر بكثير، وطلب أن تكون المفاداة على يديه، أي على يد السلطان المغربي، الرئيس بالرئيس، والبلوط بالبلوط، والبكباجي بالبكباجي، والبحري بالبحري، والجندي بالجندي، ومن فضلت عنه فضلة فالبحري بخمسمائة ريال، والرئيس بألف ريال، فأسعفه السلطان في طلبه، وانتدب للسعي في إنقاذ المسلمين من يد الكفار ابتغاء مرضاة الله ورجاء ثوابه.

وكان السلطان قد كتب إليه مع الغزال وصاحبيه من تحت أيديهم من المسلمين ليفكوا بهم أسراهم، ولمّا كتب السلطان لأهل الجزائر، وعرض عليهم ما طلبه سلطان الإسبان امتنعوا من الفداء فكتب إلى باي الجزائر ثانيا فامتنع، ثم أعاد إليه الكتب ثالثا، وحضّهم على فكاك أسرى المسلمين، ووعظهم وخوّفهم عقاب الله، ورغبهم في ثوابه، فأذعنوا حينئذ وامتثلوا وطلبوا منه أن يبعث إليهم رجلا من خاصته، يقف على المفاداة بنفسه، ويدفعون إليهم أسراهم، في يده، ويتسلم مثل عددهم من إخوانهم.[27]

فبذل عدة محاولات حتى نجح في المرة الثالثة عام 1768م وترأس البعثة المغربية التي أشرفت على تبادل الأسرى، الكاتب المغربي أبو العباس الغزّال الذي حضر إلى الجزائر على المركب الإسباني، اتفق الطرفين في شهر أكتوبر سنة 1768م، على تبادل الأسرى الموجودين عند الجانبين[28] وسلّم للجزائر 1600أسيرا جزائريا، وتسلم منها نفس العدد من الأسرى الإسبان، وتم شراء الباقي من الأسرى بالأموال، ألف (1000) ريال لكل ضابط و500 ريال لكل جندي بسيط.[29] وكان اتفاق تبادل الأسرى يتم بوساطة السفير المغربي الغزال على النحو التالي:

1. سيتم تبادل بحسب الرتبة الرايس مع الرايس والجندي مع الجندي والعبيد مع العبيد وهكذا، وفي بعضها السابق تم الاتفاق على تسليم اثنين من الجزائريين لكل مسيحي [30]
2. لا تتحرك القوارب من الجانبين تحت أي ذريعة أو سبب معين إلا بعد تنفيذ المبادلة ومغادرة خليج الجزائر.
3. اعتبار السفير المغربي أحمد الغزال، مفوضا ومسؤولا عن أعمال تبادل الأسرى بين الطرفين.

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

4. بعد وصول الأسرى الإسبان في خليج الجزائر فإن الأسرى الجزائريين في السفن الاسبانية لن يدخلوا الميناء، لكنهم سينقلون -عن طريق قوارب-، بحيث لا يقفز بسهولة أي منهم حتى تسليمه الرسمي الذي سيتم القيام به وفقا للطريقة التي قدمها أحمد الغزال. (31)

5. لن يتم قبول الأسير الجزائري في التبادل حيث يتم التحقق من أنه لم يسجن تحت علم دولة أخرى، وإسبانيا سوف تفعل الشيء نفسه في ظل هذه الظروف (32).

في السياق الموصوف، بين 1768 و1769، تم تنفيذ أكبر عملية إطلاق الأسرى في القرن الثامن عشر بأكمله (33).

تمت المفاوضات صعبة وبطيئة. وعادة ما تأتي الصعوبات من تعديل حول تبادل الأسرى المسلمين والأسرى المسيحيين، الثمن الواجب دفعه عن الأسرى الذين يريدون إنقاذهم، والرسوم الواجب دفعها والهدايا التي تمنح لأعضاء الحكومة الجزائرية...إلخ، وبمجرد انتهاء الصعوبات، يتم وضع معاهدة تحدد جميع تفاصيل التبادل المتضافر، واسترداد الأسرى مقابل المال، وطريقة تطبيق هذه المعاهدة، التي تم توقيعها ومختومة من قبل الطرفين، يتم تضمينها في جواز الفداء التي تعطى للطرفين (34).تم تبادل الأسرى بين الجزائريين والإسبان على نطاق واسع، فمنذ 250 سنة والمجلس الإسباني يعارض بيع وشراء وتبادل الأسرى، منطلقا من مبدأ أن تبادل الأسرى يؤدي بشكل أو بآخر إلى زيادة المسلمين وتقويتهم. (35)

3-3 سفارة السلطان المغربي إلى إسبانيا لتحرير الجزائريين 1779-1780م:

بعد التطرق إلى الوساطة التي تقدم بها المغرب بطلب من الجانب الإسباني وسعي السلطان محمد بن عبد الله في نجاح في مهمته كوسيط بين الطرفين الجزائري والاسباني، كان سعيه على الجانب الآخر لتحرير ما استطاع من الأسرى الجزائريين، والتي في غالبها كانت تتم بمبادرات شخصية من السلطان المغربي أو أحد سفرائها لدى ملوك إسبانيا، أو من خلال استجابته لاستغاثة الأسرى في تلك البلاد.

فمن مساعي المغرب والسلطان محمد بن عبد الله إلى تحرير الأسرى المسلمين في أوروبا هو الوفد السفاري الذي قاده السفير محمد بن عبد الله المكناسي كمبعوث من ملك المغرب إلى الملك الإسباني كارلوس الثالث، وكان الهدف من هذه السفارة هو تحرير الأسرى الجزائريين في إسبانيا، وتعتبر الرحلة السفارية التي دونها السفير سابق الذكر أهم وثيقة دونت لهذه الوساطة، فيقول ابن عثمان عن سبب رحلته: « **السعي في الصلاح في أرضه وبلاده والبحث عن أسارى المسلمين الذين بأيدي الكافرين، وقد كان عند النصارى الاصبنيول قبل هذا**

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

من أسارى المسلمين عدد كثير وجمهور غفير، وكلهم من البلاد المشرقية مثل طرابلس وتونس والجزائر وعمالاتها... ولآتيه بما تيسر لنا من أسارى المسلمين...» [36].

ويبدو أن هذه المبادرة المغربية -أحادية الجانب-للوساطة من أجل تحرير هؤلاء الأسرى الجزائريين قد لاقت صعوبات ومعيقات من بينها عدم موافقة السلطات الإسبانية على إفتدائهم بالمال «**ولما تلاقينا مع الطاغية كما تقدم... دفعنا له الكتاب ... وقرأه الطاغية وعرف مضمونه وما أشار إليه سيدنا أمير المؤمنين من تسريح أسارى المسلمين بإشارة لطيفة تضمنتها الصدقة المبعوثة من عند سيدنا ومولانا إليهم**» [37].

ومما جاء في رسالة العاهل المغربي للملك الإسباني: "**...وقد وجهنا إليك كاتبنا السيد محمد بن عثمان ليتفقد أحوال أسارى المسلمين الذين بأيديكم فنحبك أن توجهه إليهم حتى ينظرهم ويختبر أحوالهم وهو وإن لم يكونوا من إيالتنا ولا هم تعلق بنا فقد وجب أن نتفكرهم ونبحث عنهم لأن كلمة الإسلام جمعتنا وإياهم فلا ينبغي لنا ان نهملهم، ولا أن نغفل عنهم ...**" [38]

وذلك أن السلطات الإسبانية تسعى إلى المبادلة بدل الفداء، وذلك بسبب وجود الكثير من الأسرى الإسبان في الجزائر «**في شأن فدائكم بالمعاوضة بالأسارى الصبنيول الذين بالجزائر.... وقد كتب سيدنا أيده الله إلى عامل الجزائر في شأن الفداء...**» [39].

ورغم الصعوبات التي تلقتها السفارة المغربية في مسعاها إلى مفاداة الأسرى الجزائريين لدى إسبانيا، إلا أن دبلوماسية السفير ابن عثمان المكناسي، وسعيه إلى تحرير أكبر عدد ممكن منهم، وكان له ذلك حيث نجحت السفارة في تحرير 122 أسيرا جزائريا، «**فأخرجت بفضل الله تعالى وبركة سيدنا أيده الله اثنين وتسعين أسيرا زيادة على الثلاثين الأولين، تخيرنا منهم الصبيان الصغار الذين يخشى عليهم الكفر والعياذ بالله والشيوخ العاجزين وذوي الأعذار ومن طال مكثه في الأمر نحو ثلاثين سنة...**» [40].ويعود المكناسي للتأكيد أن هؤلاء المسرحين كلهم من الجزائر: «**... والأسارى المذكورين المسرحون كلهم من أهل الجزائر وإيالتها...**» [41]

فهذه الفئات من الأسر الذين حررهم السفير ابن عثمان المكناسي في رحلته لإسبانيا 1780/1779م نلاحظ أن أغلبهم ممن لا يستطيع الخدمة في أي مجال، فذكر الصبيان والمرضى والعاجزين والكبار في السن، ولا شك أن تحرير هؤلاء لم يكن اختيارا من المكناسي نفسه بقدر ما كان بضغط من السلطات الإسبانية، فهي لا تستطيع أن تفرط في هذا العدد من أسرى الجزائر بسهولة، خاصة مع وجود الأسرى الإسبان لديها، وإصرارهم على المعاوضة

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

والمبادلة في فكاك الأسرى بدل الفداء بواسطة الأموال.ورغم هذا فالسفير المغربي لم يقصر في مهمته بل سعى جاهدا إلى تحقيقها رغم العراقيل التي واجهته حيث يقول: «**وما قصّرت حتى كثر القول وخشيت في المسألة العول...**» [42].

أما عن مواقف الجزائر من الوساطة في افتداء أسراها خلال الفترة المذكورة فلم تكن جلية إلا ما ذكره الرحالة من سعي الملك المغربي محمد بن عبد الله في إعلام حكام الجزائر بضرورة فكاك أسراهم عن طريق المبادلة مع الأسرى الإسبان لدى الجزائر، ولم تشر المصادر الى ورود رسالة أو تقرير إلى الجزائر من المغرب حول الموضوع.

إلا أن المصادر المغربية ومنها رحلة المكناسي تتحدث عن فداء حكام الجزائر للترك دون العرب من الجزائريين (سكان أصليين) فذلك مما يستغرب منه حقا، خاصة أن المكناسي نفسه يستند في إثبات رأيه هذا في العودة للمبادلة بين الأسرى التي جرت سنة 1768سابقة الذكر إذ يقول: « **كان سيدنا أيده الله قبل هذا بنحو أربعة عشر سنة تكلم مع الطاغية وحتّم عليه في فداء الأسارى المذكورين بالمعاوضة بأسارى الاصبنيول الذين بالجزائر، فأسند الطاغية الأمر إلى سيدا نصره الله فبعث إلى عامل الجزائر يحضه على تتميم هذه الحسنة فأعلم الطاغية فجمع جميع أسارى المسلمين في المركب ووجههم إلى الجزائر بقصد مفاداة العرب، وفدى من بقي عنده من النصارى بالمال وردّ المسلمين إلى الأسر ببلاد الكفرة، فانظر إلى ها الفعل الشنيع والأمر الفظيع...**» [43].

فكما استغرب المكناسي من هذا الفعل والتمييز بين الأسرى الجزائريين أكانوا أتراكا أم جزائريين أصليين، فإنا نستغرب نحن كذلك من الأمر، خاصة أنه لم يرد إلا في المصادر المغربية [44]، إلا أن وجود وثائق تؤكد تفريط الحكام العثمانيين في شمال افريقيا في أسراهم الذين كانوا في أوروبا، حيث جاء في إحدى الوثائق: " **رفض والي تونس إنقاذ الأسرى التونسيين في مالطة وسوء نيةى في تبادل الأسرى مع الإنجليز**" [45] وإن كانت هذه الوثيقة تدل على حالة الأسرى التونسيين هناك، إلا انها تعطينا صورة ما ذهب إليه المكناسي من تفريط الأتراك في أسراهم.ويزيد ابن عثمان بأثره أن السلطان "**كلّفه بإيصالهم إلى بلادهم ناظرا إليهم في ركوبهم، وأكلهم، وشربهم، حتى يوصلهم لتلمسان، ويدفعهم إلى عاملها، ويفرق عليهم الصلة هناك**"[46]

وبالتالي نقلت لنا نصوص الرحلات السفارية [47] المغربية التي اتجهت إلى أوروبا خلال النصف الثاني من القرن 18م، معلومات قيمة عن المبادرات التي قام بها السلطان المغربي

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

محمد بن عبد الله من أجل تحرير الأسرى المسلمين والجزائريين منهم على وجه الخصوص الذين كانوا بإسبانيا [48] أو إحدى ممتلكاتها في أوروبا بصقلية أو نابولي أو مالطا [49].

4-3 الوساطة المغربية في تحرير الأسرى الإسبان بالجزائر 1780-1782. (تحرير الأميرة الإسبانية).

دخل المغرب مرة أخرى كوسيط بين الطرفين الجزائري والإسباني، وكانت الوساطة كذلك بسبب الأسرى الاسبان لدى الجزائر. ففي 29 ديسمبر 1779، وصلت امرأة وابنة حاكم المرسى الكبير[50] إلى مدينة الجزائر، وهو ضابط، رقيب وجندي، الذي كان قد أسيرا في 3 من نفس الشهر من ديسمبر، عندما كانوا قد ذهبوا للنزهة، وعن هوية (الأميرة الإسبانية) الأسيرة في الجزائر، التي هي في الواقع دونا ماريا هيدالغو (dona Maria Hidalgo)، زوجة حاكم المرسى الكبير) التي كانت أسيرة واقتيدت إلى الجزائر العاصمة جنبا إلى جنب مع ابنته فيسنتا مايولي (Vicenta Mayoli) الملازم خوان دي فيلا (Juan de Vila)، والجنود خوسيه غارسيا(José Garcia) وجواكين سالدا (Joaquin Salda)، وجميعهم أسرى في نفس المناسبة [51].

حيث سارعت الحكومة الاسبانية إلى إيجاد حل لقضية الأسرى بالجزائر خاصة وأن العلاقات بين الجزائر وإسبانيا كانت جد عدائية، حيث لم يمر زمن طويل عن الهجوم البحري على مدينة الجزائر 1775م، مما حذا بأصحاب القرار في إسبانيا لطلب وساطة المغرب خاصة في ظل حالة السلام والتقارب التي تشهدها العلاقات الاسبانية المغربية، ففي نهاية يناير كانون الثاني. في 2 فبراير / شباط، قال وزير الدولة الاسباني الكونت فلوريدابلانكا (conde de Floridablanca) [52] للسفير المغربي محمد بن عثمان:

"الملك يا سيدي يرجو ويطمح لتحرير زوجة حاكم المرسى الكبير من معاناة الأسر في الجزائر فهي امرأة عجوز فقيرة. وابنتها، وكذلك بعض الجنود المسيحيين، وبناءً على التوصية التي كتبها ملك المغرب لإنقاذ جميع الأسرى أو لمح لذلك". [53] فيرد السفير المغربي في اليوم التالي قائلا بأنه سوف يرسل رسالة إلى الملك المغربي يخبره بذلك، وبالفعل تم ذلك حيث أرسل له رسالة يوم 4 فيفري بلغه فيها طلب الملك الاسباني ووزيره، وشرح له أمر الأميرة الاسبانية الواقعة في الأسر هي وابنتها و3 من الجنود المسيحيين في الجزائر العاصمة. [54]

وفي نفس الرسالة طلب السفير المغربي إطلاق سراح ثلاثة وعشرين من الأسرى في سبتة، سبعة منهم من الأتراك وأحد عشر جزائريا، ويعرض فلوريدابلانكا على كارلوس الثالث رسالة ابن عثمان. يمنح العاهل الإسباني الحرية للمغاربة "على الرغم من أنهم وقعوا في حرب،

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

ولكن بالنسبة للبقية "أي أن الأتراك السبعة وأحد عشر جزائريا" يرغبون في رؤية الملك كيف يحصل الجزائريون على الفدية أن أوصي وبالتالي أمر الملك كارلوس 3 باطلاق سراح أسرى المغرب الأقصى وانتظار أمر الأسرى الأتراك والجزائريين حتى ينظر في أمر الفدية التي يطلبها الجزائريون بشأن المرأة الاسبانية (الأميرة حسب المصادر المغربية [55].

فبمجرد وصول رسالة الوساطة من الطرف الاسباني، اقترح السلطان محمد بن عبد الله عليه وجوب تسريح الأسرى الأتراك والجزائريين لدى إسبانيا، وذلك ربما سعيا منه لجعل عملية الوساطة أكثر مرونة مع الطرف الجزائري، لكن رفض الملك الاسباني للاقتراح بسبب التريث حتى ينظر في مطالب فدية حكام الجزائر.

ويبدو أن كل المجهودات التي بذلها السلطان المغربي للوساطة في فكاك الأسرى الإسبان لم تلق تجاوبا في الجزائر، إلى درجة أن محمد بن عبد الله العاهل المغربي لجأ أسلوب الإغراء تارة لحكام الجزائر، وتارة أخرى التهديد والترهيب وممارسة الضغوطات عليهم من أجل تسريح الأسرى الإسبان، فنراه يغري حاكم الجزائر: "حيث أوضح مزايا الصداقة مع إسبانيا التي ستجلبه، واستمرار الأعمال القتالية التي كان سيعرضها"، على خلاف ذلك أجاب الداي محمد بن عثمان باشا : "ليس لدينا سبب لعدم توقع الأرباح، والتي وعدت لنا في الصداقة مع الاسبان. نحن لا نخشى أسلحتهم. واهتمامنا الروحي والزمني يتمثل في صنع الحرب ضدهم: حسنا لماذا سنجعل السلام مع اسبانيا؟" [56]

ومنذ نهاية عام 1780 كان فشل الخطوات الأولى التي اتخذها السلطان المغربي للحصول على الإفراج عن الأسرى الخمسة في الجزائر معلوما في مدريد. فقد أخبرهم السلطان محمد بن عبد الله عن ذلك في الأيام الأخيرة من فبراير 1781.[57] في 26 أغسطس / آب، أعطى السفير المغربي محمد بن عثمان [58] تقريرا وافيا للجانب الإسباني يشرح للصعوبات التي نشأت في الجزائر، مما منع السلطان المغربي من تحقيق إنقاذ الأسرى الخمسة، خاصة وأن محمد بن عبد الله أرسل ثلاث مرات إلى داي الجزائر [59]

أثار رفض الجزائريين إطلاق الأسرى الإسبان بناء على طلب السلطان المغربي استياء هذا الأخير الذي أحال إلى حاكم طنجة محمد بن عبد الملك تعليماته **"لا تسمح للجزائريين بالهبوط في مجالاتنا أو أنها تثبت من الأحرف أو أشياء أخرى، وفقط في حال كنت بحاجة المياه يمكنك السماح لهم بالدخول إلى ميناء لليلة وحدها"** [60].

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

وكان اعتذار أهل الجزائر إليه بأن النصرانية في سهم العسكر، ولا يمكنه إكراههم على فدائها، فلما ردّ صاحب الجزائر شفاعة سلطان المغرب، كتب هذا الأخير إلى السلطان عبد الحميد الأول بذلك فكتب السلطان العثماني إلى أهل الجزائر يؤنبهم على رد شفاعة السلطان المغربي ويقول لهم: **"إن الواجب أن تسرحوها له بدون مال، وما عسى أن يبلغ ثمن هذه النصرانية؟ ولو طلب مني سلطان المغرب ألف نصرانية لبعثتها إليه، وحتى الآن نأمركم أن تبعثوا إليه بهذه النصرانية، ولو كانت هي الملكة، ولا تقبضوا فيها فداء، أوما رأيت ما افتكه ملك المغرب من أسرى الأتراك من كل جنس، حتى لم يبقى في أسر الكفار مسلم؟ وأنتم تردون شفاعته في نصرانية لا بال لها، فلا تعودوا لمثل هذا، فيكون سببا لتغير باطننا عليكم والسلام".** [61]

ولم تذكر المصادر الإسبانية اتصال السلطان محمد بن عبد الله بالخليفة العثماني حول أمر الأسرى الإسبان، بل نلاحظ مبالغتهم في القول بطلب عبد الحميد الأول حكام الجزائر بالرضوخ لأمر العاهل المغربي بخصوص هذه القضية، ومما جاء في مختلف المصادر المغربية التي نقلت حادثة التوتر التي حصلت بسبب إصرار الأخير على الأخذ بشفعاته في أمر الأسرى الإسبان **"ولما ورد عليهم فرمان السلطان عبد الحميد الأول لم يسعهم إلا إرسال النصرانية إلى حضرة السلطان، وكتبوا إليه بالاعتذار، وقالوا إنما امتنعنا من فدائها خوف بلوغ خبرها إلى ملكنا، فلم نر أن نفتات إليه، وذلك الواجب علينا من طريق الخدمة والطاعة، فنحب من سيدنا أن يقبل عذرنا، ولا يظن بنا خلاف هذا والسلام ولمّا وصلت إلى السلطان وجهها إلى ملك الإسبان، فسر بإطلاق سراحها سرورا عظيم".** [62]

بينما ترجع المراجع الإسبانية المعتمدة على وثائق الأرشيف الوطني الإسباني إلى أن تحرير الأسرى تم بعد تقديم جملة من الهدايا والفدية للجزائريين، مع التأكيد على الدور المحوري الذي لعبته الوساطة المغربية في ذلك [63].هذا ولم يذكر مصير الأسرى الأتراك والجزائريين الذين توسط لهم ملك المغرب حول ما إذا كانوا جزءا من عملية مبادلة الأسرى، أم أنها لم تكن كذلك.هذه إذن أهم مبادرات الوساطة التي تقدم بها المغرب على مختلف المستويات بهدف تحرير وتبادل الأسرى بين الجزائر وإسبانيا خلال النصف الثاني من القرن 18م.

ختاما نقول أن موضوع الأسرى شكل خلال العصر الحديث أهم محاور العلاقات التي ربطت بين دول ضفتي المتوسط، خاصة خلال القرن الثامن عشر ميلادي، هذا القرن الذي

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

شهد عدة تغيرات على مستوى العلاقات السياسية خاصة بين المغرب وإسبانيا من خلال حالة السلم والتقارب الاقتصادي الذي حدث بينهما، مما أدى بالمغرب أن يلعب أدوار مهمة في العلاقات الإسبانية –الجزائرية على الخصوص، في فترة شهدت أوج حالات التوتر بين البلدين، والملاحظ أن شخصية السلطان محمد بن عبد الله كان لها دور مؤثر في ذلك، فقد ازدهرت الدبلوماسية المغربية في عهده على المستويين المغاربي والأوروبي والمتوسطي، ولا شك لأن هذا الانفتاح المغربي ساهم في العديد من عمليات فداء الأسرى المسلمين والمسيحيين، كما شكل مبادرات مميزة تسعى لإنهاء الرق وممارساته في البحر المتوسط.

الهوامش:

([1]) **السلطان محمد بن عبد الله:** ولد بمكناس عام 1134هـ/1710م وبويع بالملك إثر وفاة السلطان مولاي عبد الله بفاس يوم 27 صفر 10/1171 نوفمبر 1757م،وتوفي قرب الرباط يوم 24 رجب 1204/ 09 أفريل 1790م، وخلال مدة حكمه التي طالت 33 سنة أنجز في الداخل عديدا من الأعمال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وارتبط في الخارج مع كثير من الدول بعلاقات ود وصداقة وعقد معها العديد من المعاهدات والاتفاقيات، أنظر: عبد الوهاب بن منصور، **إطلالة على وثائق السلطان سيدي محمد بن عبد الله المحفوظة بمديرية الوثائق الملكية، ضمن أعمال الدورة الثالثة ضمن دورة مولاي علي الشريف الخريفية**، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، ديسمبر 1991، ص15.

([2]) وتجدر الإشارة إلى أنه في سنوات الأعمال العدائية بين الطرفين الجزائري والإسباني، فقد كانت هناك خمس عمليات استرداد للأسرى الإسبان، في 1723-24 و1739 و1750 و1768-69. وبلغ العدد الإجمالي للأشخاص المفرج عنهم 2877 شخصا (830 شخصا تم إنقاذهم + 770 مستردة). بلغ العدد الإجمالي للأسرى الجزائريين الذين تم الإفراج عنهم من خلال التبادل 1902. أنظر:

Ismet Terki-Hassaine**, Spanish-Algerian connections in the Ottoman period (1505-1830)** HESPERIA, CULTURAS DEL MEDITERRÁNEO, JUNIO 2015, P27.

([3]) ابن زيدان عبد الرحمان بن محمد السجلماسي، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تحقيق: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ج3، ص360.

([4]) زهراء النظام، **علاقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله بالإيالات العثمانية في شمال افريقيا، ضمن أعمال الدورة الثالثة ضمن دورة مولاي علي الشريف الخريفية**، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، ديسمبر 1991، **ص 243.**

([5]) أبو القاسم الزياني، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، دراسة وتحقيق: رشيد الزاوية، القسم الأول، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، ص 483.

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

([6]) يحي بوعويز، **اسبانيا توسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة الجزائر2، ع 4 ،1988 ص54.

([7]) **مصطفى بوشلاغم:** ابن يوسف بن محمد ابن اسحاق المسراتي باي الغرب الجزائري، وفاتح مدينة وهران من الاسبانيين سنة 1708م، ونقل مركز البايلك من مازنة إلى وهران، وفي عهده أيضا أعيد احتلال وهران سنة 1732م، كان له العديد من الإنجازات خلال فترة حكمه، توفي 1734. للمزيد انظر: الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1990، ص274-276.

([8]) محمد السعيد بوبكر، **العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثّاني عشر الهجري/ الثّامن عشر الميلادي (1119- 1206هـ / 1708- 1792م)**، مذكرة شهادة الماجستير في تخصص: التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011م.

([9]) يحي بوعزيز، **المراسلات الجزائرية الاسبانية أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780-1798م)**، الجزائر، 1993، ص19-20.

([10]) صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، دار هومة، 2012، ص169-170.

([11]) هلايلي حنيفي، **القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان في الجزائر خلال العهد العثماني**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2003، ص247-248.

([12]) مليكة نجيب، **المرأة في الرحلة السفارية المغربية خلال القرنين 18و19م**، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2014، ص 199-201.

([13]) إبراهيم سعيود، **الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، 2009-2010م

([14]) عبد المجيد القدوري، **سفراء عرب في أوروبا 1610-1922 الوعي بالتفاوت**، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006، ص71.

([15]) أحمد بن المهدي الغزال، **نتيجة الإجتهاد في المهادنة والجهاد**، تحقيق وتقديم: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص39

([16]) أحمد بن المهدي الغزّال الحميري الأندلسي، كان علامة مشاركا أديبا، شاعرا مطلعا وكاتبا مقتدرا، له تآليف مفيدة منها الأطروفة الهندسية والحكمة الشطرنجية الانسية في مدح مخدومه، واليواقيت الأدبية بجيد المملكة المحمدية، والنور الشامل في مناقب فحل الرجال الكامل، ورحلة إلى بلاد الأندلس سماها نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد عام 1179هـ /1766م، ونتيجة الفتح المستنبطة من سورة الفتح، إلى غير ذلك من التآليف، توفي المتوفي سنة 1191هـ/1777م، **أنظر:** محمد حجي، **موسوعة أعلام المغرب**. الجزء7، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص2410.أنظر أيضا: عبد السلام ابن عبد القادر ابن سودة، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث والرابع 1171-1400هـ/1756-1980م**، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 43.

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

(17) زهراء النظام، **علاقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله بالإيالات العثمانية في شمال افريقيا**، أعمال الدورة الثالثة: جامعة مولاي الشريف الخريفية، مركز الدراسات والبحوث العلوية-للريصاني، ديسمبر 1991، ص 241-242. وكذا: أبو القاسم الزياني، **البستان الظريف**، ص404.

(18) تدخل رحلة الغزال ضمن المحادثات التمهيدية التي سبقت توقيع اتفاق المعاهدة المغربية الاسبانية التي أبرمت يوم 28 ماي 1767م، بين السلطان سيدي محمد بن عبد الله ونظيره الاسباني كارلوس الثالث وتعود خلفيات هذا الاتفاق الذي كان الغزّال من أهم صانعيه والمشاركين فيه، في رغبة المغرب السعي إلى تحقيق وحدته الترابية باسترجاع السيادة الوطنية على ما تبقى من أجزائه المحتلة إلى غاية 1767م، أما للإسبان فمثل الاتفاق الخطوة الأولى لحل المشاكل التي كانت تتخبط فيها مسألة الحصون الاسبانية **أنظر:** حسن الفكيكي، **الثغور المغربية المحتلة والاتفاق المغربي الإسباني لسنة 1767**، ضمن أعمال الدورة الثالثة لفعاليات جامعة مولاي على الخريفية، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، ديسمبر 1991، ص149.

(19) أحمد بن المهدي الغزال، مصدر سابق، ص40.

(20) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج3، مرجع سابق، ص367.

(21) أحمد بن المهدي الغزال، مصدر سابق، ص186.

(22) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج3، ص368.

(23) José Enrique Blasco Leante, **LA ADMINISTRACIÓN DE LA ARMADA ESPAÑOLA EN EL SIGLO XVIII: EL CASO DE LA EXPEDICIÓN A ARGEL DE 1768 PARA EL CANJE DE CAUTIVOS**, DE COMPUTIS, No15, Diciembre 2011, p06.

(24) عبد الوهاب بن منصور، **إطلالة على وثائق السلطان سيدي محمد بن عبد الله المحفوظة بمديرية الوثائق الملكية، مرجع سابق، ص19.**

(25) وكانت المملكة الإسبانية ترجوا كذلك وساطة السلطان المغربي للنظر في علاقاتها مع الجزائر العثمانية، ولكن فشل المساعي الحميدة التي يبذلها الوسيط المغربي بسبب رفض الداي، ثم في الجزائر أنهم لا يثقون في الموقف المتناقض الذي يفضل بوضوح مصالح سلطان إسبانيا.أنظر:
Ismet Terki-Hassaine, op.cit، P27.

(26) A.H.N.M./ S.E. / L.3565. Meknés 6 Chawel de 1181 (1767), 1 fol. رسالة أحمد الغزال إلى الوزير الإسباني

(27) جعفر بن أحمد الناصري، **سلا ورباط الفتح وقرصنتهما البحرية**، تحقيق: أحمد بن جعفر الناصري، ج4، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 2006، ص33.أنظر أيضا: أبو القاسم الزياني، **البستان الظريف**، ص 404. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار اكتاب، الدار البيضاء، ج8، 1997، ، ص39

(28) أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1482-1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ص 509

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

(29) يحي بوعزيز، **إسبانيا توسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس**، مرجع سابق،

(30) Maximiliano BARRIO GOZALO. **LOS CAUTIVOS ESPAÑOLES EN ARGEL DURANTE EL SIGLO ILUSTRADO**. Ediciones Universidad de Salamanca. Cuad. diecioch., 2003, p4

(31) الأمر الذي يؤكد عدم الثقة بين الطرفين وخشية كل طرف من الآخر.

(32) José Luis González Arpide**, LA EXPEDICION DE ARGEL Y EL RESCATE DE LOS TABARQUINOS**, In book: La Documentación para la investigación.Homenaje a José Antonio Martín Fuertes,vol1 Edition: Servicio de Publicaciones.Universidad de León January 2002, p260.

(33) José Enrique lasco Leante, **LA ADMINISTRACIÓN DE LA ARMADA ESPAÑOLA EN EL SIGLO XVIII: EL CASO DE LA EXPEDICIÓN A ARGEL DE 1768 PARA EL CANJE DE CAUTIVOS**, DE COMPUTIS, No15, Diciembre 2011, p06.

(34) Maximiliano BARRIO GOZALO. Op.Cit. P172

(35) عزيز سامح التر، ص527.

(36) محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق: محمد الفاسي، ص5-6.

(37) ويضيف السلطان في رسالته: "...**معه عشرة آلاف مثقال من سكتنا صدقة على جميع الأسرى الذين في إيالتك وغيرها...**" **أنظر:**

ARRIBAS PALAU Mariano, **CARTAS ARABES DE MAWLAY Muhammad BEN ABD ALLAH, RELATIVAS A LA EMBAJADA DE IBN OUTMAN DE 1780**, p328

(38) ARRIBAS PALAU Mariano, Ibid. p328.

(39) محمد بن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير**، تحقيق: محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص163.

(40) المصدر نفسه، ص164.

(41) المصدر نفسه، ص164.

(42) المصدر نفسه، ص164.

(43) المصدر نفسه، 164-165.

(44) ويذكر الأستاذ عبد الهادي التازي أنه وفقا لما أوردته تقارير السفراء المغاربة وأكدته المصادر الإسبانية، أن الدولة العثمانية كانت تميز بين أسراها المحتجزين بالدول الأوروبية فإذا كانوا من أصل تركي افتدتهم، وإذا كانوا من أصل عربي امتنعت عن ذلك، وهذا ما قرأناه في مذكرات السفير المغربي ابن عثمان سواء عندما كان في قرطاجنة أو كان في نابولي. أنظر: عبد الهادي التازي، **فكرة المغرب العربي من خلال الوثائق الدبوماسية**، مجلة دراسات تاريخية، ع13-14، دمشق، أكتوبر 1983، ص14-15.

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

[45] وثيقة رقم 3205/1/59، المكتبة الوطنية الجزائرية، نقلا عن: خليفة حماش، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، دار نوميديا للطباعة ولنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص60-61.

([46]) عبد الرحمان الفاسي، **بين تحرير البلاد وتخليص الأسارى، وتحرير الكتاب**، مجلة المناهل، ع14، السنة6، الرباط-المغرب، مارس 1979، ص 38-39.

([47]) **الرحلات السفارية:** يمكن تعريفها بأنها فرع من الأدب الرحلي، بمفهومه العام، ينصرف موضوعه العام إلى وصف ما شاهده الكاتب أو سمعه في رحلته أو سفرته للقيام بمهام السفارة، مبعوثا من قبل الأجهزة العليا في بلده، لدى أمة أو دولة أخرى، قريبة أو بعيدة، إسلامية أو أجنبية، وتكون أحيانا من إنشاء السفير نفسه، إن كان في الوقت ذاته من رجال الأدب والعلم، وأحيانا أخرى يقوم بتأليفها أحد الكتاب الذين رافقوا السفير ومن أجل تبادل وجهات النظر وتوثيق العلاقات، أو تمهيدا لعقد اتفاقيات أو لفض المنازعات.**أنظر:** فريد أمعضشو، **خصائص الرحلة السفارية المغربية إلى أوروبا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، مجلة البيان الكويتية، ع 521، الكويت، 01 ديسمبر 2013، ص 50

([48]) محمد بن عثمان المكناسي، مصدر سابق.

([49]) محمد بن عثمان المكناسي، **البدر السافر لهداية المسافر إى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر**، تحقيق وتقديم: مليكة الزاهدي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2013.

([50]) تذكر المصادر المغربية خطأً أن عملية الأسر كانت في سنة 1199هـ/1785م، وأن الأسيرة نصرانية من قرابة ملك اسبانيا، وكانت متوجهة من مركبها إلى نابولي، لزيارة ابن عمها الذي هو صاحب نابولي. بينما الأصح كما أوردناه أعلاه **أنظر: سلا ورباط الفتح**، ج4. ص35. وأيضا في **الاستقصا**، ج8، ص 58-59. وكذا **البستان الظريف**، ص457.

([51]) ARRIBAS PALAU Mariano, p99.

([52]) **José Rodriguez Monino El conde de FloridaBlanca** تولى منصب الوزير الأول ووزير الخارجية في إسبانيا من عام 1777 إلى هام 1792م، وهو محامي قانوني وسياسي حاذق، تولى منصبا دبلوماسيا في إيطاليا قبل أن يصبح رئيسا لوزراء عرش البوربون الإسباني على عهد الملك كارلوس الثالث، وابنه كارلوس الرابع من بعده، كان يميل إلى سياسة التفاوض والحوار لحل المشاكل الخارجية بالطرق والأساليب السلمية. أنظر: يحي بوعزيز، **إسبانيا توسط لجزائر لإبرام صلح مع تونس**، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر2، ع4، 1988، ص53-54.

([53]) ARRIBAS PALAU Mariano, EL CAUTIVERIO DE CINCO ESPANOLES EN ARGEL (1780-1782) p101.

([54]) ARRIBAS PALAU Mariano ,ibid. p102.

([55]) ARRIBAS PALAU Mariano, ibid, p103-104

([56]) ARRIBAS PALAU Mariano, ibid, p109.

([57]) ARRIBAS PALAU Mariano, ibid, p109.

E-ISSN : 2571-9742
ISSN: 1112-945X

(58) الكاتب السفير الرحالة الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب ابن عثمان المكناسي، لا يعرف بالضبط تاريخ ولادته، وانما يفترض بحسب ظروف حياته أنه ولد بمدينة مكناس أواسط القرن 12هـ/18م من أسرة علمية، فهو سليل عائلة عريقة في العلم وخطة التوثيق منذ بدايات العصر السعدي قام محمد بن عثمان بأربع رحلات سفارية كانت أولى رحلات ابن عثمان عام 1193هـ/1779م، إلى إسبانيا عنوانها "الإكسير في فكاك الأسير" والثانية إلى مالطا ونابولي " "البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر" والثالثة إلى المشرق والقسطنطينية بعنوان " إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام، توفي ابن عثمان بمراكش عام 1213هـ/1799م، أنظر: محمد المنوني وامحمد بن عبود، **رحلة ابن عثمان إلى القدس الشريف ومناطق من فلسطين**، مجلة المناهل، ع39، 1ديسمبر 1990، ص2. **أنظر أيضا:** العباس بن إبراهيم السملالي، **الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة: عبد الوهاب بن منصور، ط2، ج6، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص 145.

(59) ARRIBAS PALAU Mariano, op.cit, p109.
(60) ARRIBAS PALAU Mariano,ibid, p109.

(61) سلا ورباط الفتح، ج4. ص35

(62) سلا ورباط الفتح، ج4. ص35. وأيضا في الاستقصا، ج8، ص 58-59. وكذا البسيان الظريف، ص457.

(63) ARRIBAS PALAU Mariano,ibid, p114.